بأن توفد البعثة السعودية الأولى إلى مصر، وكان عدد أفرادها 14 طالبًا، والملاحظ أن الابتعاث بدأ في وقت مبكر جدًّا من مرحلة التأسيس، إذ بدأ بعد ثلاث سنوات فقط من دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وقبل توحيد المملكة العربية السعودية بخمس سنوات، ما يدل على اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم، ورغبته الجادة في نشر العلم، وهذه الرغبة إنما تعبر عن بعد نظره وإدراكه الواسع لطبيعة الدين الذي حث على طلب العلم والرحلة إليه، وتعبر عن فهم دقيق لدور التعليم في النهضة والتنمية[1].

ولبدء الابتعاث في المملكة العربية السعودية قصة شائقة رواها المؤرخ عبدالقدوس الأنصاري مؤسس مجلة المنهل[2]، حيث ذكر أن ثلاثة شبان أصدقاء هم عبدالوهاب آشي، ومحمد سعيد العمودي، ومحمد بياري تناقشوا في مسألة النهوض بالبلد ودور التعليم فيه، ورأوا أن أحد أهم الأسباب الموصلة له هو الابتعاث للدراسة في الخارج، فكتبوا اقتراحهم هذا، وأرسلوه إلى الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بالبريد، الذي استدعاهم لاحقًا، وأبلغهم بتشكيل لجنة لدراسة اقتراحهم، وقد تشكلت اللجنة من الشيخ حافظ وهبة مساعد نائب جلالة الملك آنذاك، والسيد صالح شطا نائب رئيس مجلس الشورى، والشيخ صالح نصيف

عضو مجلس الشورى، إضافة إلى مقدمي التقرير الثلاثة، وقد وضعت هذه اللجنة السداسية خطوط الابتعاث الأولى، وعرضت تقريرها على الملك عبدالعزيز، فوافق على مشروع البعثات، وأمر بأن توفد البعثة السعودية فورًا إلى مصر، وأن ينضم إليها الشبان الثلاثة أصحاب الاقتراح، وقد قضى الأمر الملكي بإرسال 14 طالبًا للتخصص في التدريس والقضاء الشرعي والتعليم الفني والزراعة والطب، وقد رتب القرار نفقات البعثة من حيث مخصصات الأفراد ومراقب البعثة، واشترط أن يعمل المبتعث بعد تخرجه في المجال الذي تحدده له الحكومة.

ويؤكد أبو راس والديب[3] أن فكرة ابتعاث الطلاب كانت تراود الملك عبدالعزيز كلما أحس بحاجة الوطن إلى أفراد مؤهلين في أحد المجالات، ويمثلان لذلك بما حدث في مجال خدمة اللاسلكي التي نوقشت مع غيرها من الموضوعات في المؤتمر الذي عقد في الرياض عام (1348هـ) وما قام به الملك عبدالعزيز بعد ذلك من إرسال بعثة عاجلة إلى لندن من ثلاثة موظفين من بريد مكة المكرمة للتدرب في شركة ماركوني في تشيلمفورد بإنجلترا على إنشاء وإدارة شبكات الاتصالات اللاسلكية، وكذلك فقد قام رحمه الله بإرسال (10) طلاب من الحجاز لدراسة الطيران في إيطاليا عام (1354هـ).

مدرسة تحضير البعثات

لتنظيم عملية الابتعاث وإعداد المبتعثين، أنشئت عام (1355هـ) مدرسة تحضير البعثات، التي كان الغرض منها إعداد الطلبة الذين يرغبون الدراسة في الخارج، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وقد قامت هذه المدرسة بدور كبير في فتح آفاق الابتعاث بحيث أصبح العدد الغالب من طلبة البعثات من خريجيها، وظلت تؤدي دورها إلى أن قامت المدارس الثانوية بدورها بالإعداد للجامعات السعودية والأجنبية[4]، وقد استمرت أعداد المبتعثين بواسطة الدولة في الزيادة لتصل عام (1369هـ، 1950م) إلى (192) طالبًا، والجدول أعلاه يوضح الدول والجامعات التي درس فيها أولئك المبتعثون وتخصصاتهم العلمية في ذلك العام[5].

إحصائية أعداد المبتعثين للدراسة في الخارج عام 1369هـ (1950م):			
	الدولة والجامعة	العدد	التخصصات
مصر	الأزهر	28	الشريعة، أصول الدين، اللغة العربية، القسم العام
	فؤاد الأول (القاهرة حاليًا)	83	الطب، العلوم، الهندسة، الزراعة، الحقوق، الآداب، التجارة، الصيدلة، دار العلوم
	فاروق الأول وكلية فيكتوريا (الإسكندرية حاليًا)	23	الطب، الآداب، التجارة، الحقوق
	الكليات العسكرية	14	البوليس والحربية
	معهد مصر للطيران	14	الطيران
	مصلحة التليفونات بالقاهرة	10	الهاتف
	مصلحة المساحة بالقاهرة	2	المساحة
	كلية التجارة المتوسطة	2	التجارة المتوسطة
	الولايات المتحدة الأمريكية	16	الكيمياء، الجيولوجيا، الاقتصاد، المحاسبة، اللاسلكي، المخابرات، الأرصاد الجوية
	المجموع	192	

المصدر: المعجل والمعيقل (1422هـ) (البعثات التعليمية ودورها في خطط التنمية).

الابتعاث بعد إنشاء وزارة المعارف

مع إنشاء وزارة المعارف عام (1373هـ) (قبل وفاة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بعدة أشهر) التي كان أول وزير لها آنذاك الأمير: (الملك لاحقًا) فهد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، تقدم التعليم خطوات سريعة للأمام، فأصبح السلم التعليمي مكتملًا بشموله التعليم الفني، وذلك «تمشيًا مع حركة التطوير في مختلف المجالات العلمية والصناعية والزراعية، وبذلك اتسع باب الابتعاث حتى شمل المتخرجين من المدارس والمعاهد الصناعية إلى بعض الدول الأوروبية»[6]، والجدول التالي يبين تطور أعداد الطلاب المبتعثين خلال الفترة من عام (1375هـ) إلى عام (1391هـ)[7].

ويُعزى سبب التفاوت والانخفاض في أعداد المبتعثين في بعض السنوات إلى افتتاح كليات وأقسام جديدة في جامعة الرياض (الملك سعود حاليًّا) وجامعة الملك عبدالعزيز، والجامعة الإسلامية، والكليات التابعة للإدارة العامة للكليات والمعاهد، وكلية البترول بالظهران) جامعة الملك فهد حاليًّا، إضافةً إلى اتجاه أعداد كبيرة من الخريجين للبعثات العسكرية أو للالتحاق بالكليات العسكرية التابعة لوزارتي الدفاع والداخلية[8].

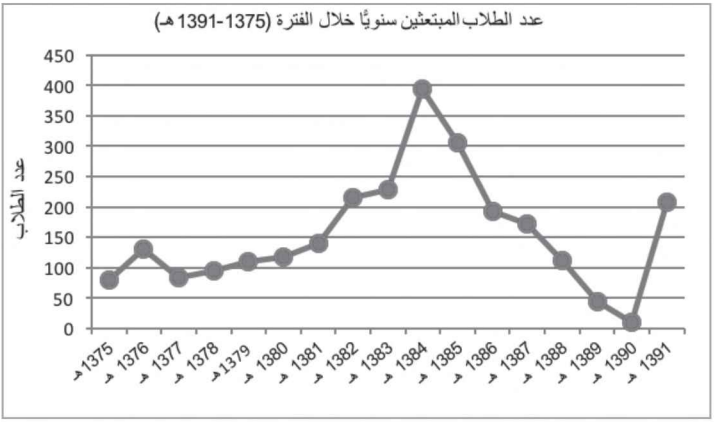

المصدر: النشرة التربوية (1392هـ) عدد 6.

الابتعاث في عصر الطفرة

في نهاية السبعينيات الميلادية)نهاية القرن الهجري الثالث عشر(، ومع الطفرة المالية الأولى التي شهدتها الدولة بسبب ارتفاع مداخيلها من النفط بدأت أعداد المبتعثين بالتزايد نحو وجهة جديدة، هي الولايات المتحدة الأمريكية، فتزايدت أعداد الطلاب المبتعثين سنويًّا من المئات إلى الآلاف، وتنوعت تخصصات المبتعثين ومراحلهم الدراسية، وعلى سبيل المثال، فقد بلغ إجمالي عدد المبتعثين في العام الدراسي (1398/1397هـ- 1978/1977م) (9096) مبتعثًا، (8216) طالبًا و(880) طالبة[9]، والجدول التالي يوضح تطور أعداد الطلاب السعوديين الدارسين في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقود الماضية[10]، ما يعطي صورة واضحة عن حجم برامج الابتعاث وارتباط التوسع فيها بموارد الدولة:

Source: Institute of International Education, Open Doors 2017

مراحل الابتعاث

قسم الداود[11] المراحل التي سارت عليها سياسة الابتعاث في المملكة العربية السعودية إلى ثلاث مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى:

وفيها كان الابتعاث مقصورًا على الدول العربية والإسلامية ومع وجود تخصصات مختلفة إلا أن التركيز كان على تخصصات العلوم الشرعية واللغة العربية، واقتصر الابتعاث في هذه الفترة على مرحلة البكالوريوس، بسبب الحاجة الشديدة للقوى البشرية المتعلمة، وبسبب قلة مؤسسات التعليم العالي المحلية.

المرحلة الثانية:

وبدأت مع تطبيق خطة التنمية الخمسية الثانية عام (1395هـ، 1975م)، وفي هذه المرحلة تم التوسع في الابتعاث ليشمل أوروبا وأمريكا، إضافة إلى الدول العربية والإسلامية، وتوسع الابتعاث ليشمل مرحلة الماجستير لموظفي الدولة ولمرحلتي الماجستير والدكتوراه لمعيدي الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الأخرى.

المرحلة الثالثة:

وفيها تم تنظيم الابتعاث وترشيده بشكل أكبر، ليقتصر على مراحل الدراسات العليا مع استمرار التوسع فيه للجامعات ومؤسسات التعليم العالي، ونتج عن هذه السياسة تناقص أعداد الطلاب المبتعثين في هذه المرحلة.

ويمكن إضافة مرحلة جديدة للابتعاث بدأت عام (1426هـ، 2005م) عندما قررت حكومة المملكة العربية السعودية التوسع في الابتعاث لجميع المراحل في التعليم العالي وفي التخصصات التي يحتاج إليها سوق العمل حيث أُطلق برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي، وتتميز هذه المرحلة بأن أصبح الابتعاث فيها يشمل عشرات الدول في مختلف أرجاء العالم، بدلًا من الاقتصار على دولٍ محددة، وتم التركيز في هذه المرحلة على التخصصات العلمية والتقنية الضرورية التي يحتاج إليها سوق العمل. وكذلك، فقد فتح

الباب من جديد للابتعاث لمرحلة البكالوريوس، إدراكًا لأهمية هذه المرحلة، وكونها المرحلة الأساس التي تبنى فيها معارف الطالب، وتتشكل فيها ثقافته العلمية التخصصية. وأخيرًا، فمن ميزات هذه المرحلة استخدام التطبيقات الإلكترونية، حيث يستطيع الطالب التقديم عبر شبكة الإنترنت ومتابعة طلبه عبر موقع وزارة التعليم العالي من دون حاجة للحضور الشخصي، وكذلك فإن الوزارة تقوم بتنفيذ الإجراءات، والمفاضلة بين الطلبات وإصدار القرارات المتعلقة بابتعاث الطلاب إلكترونيًّا، وسيتم تخصيص الفصل التالي للحديث عن هذه المرحلة الجديدة من الابتعاث.

ومن خلال التمعن في تاريخ الابتعاث في المملكة العربية السعودية ومراحله يمكن ملاحظة ارتباط الابتعاث للدراسة في الخارج بحجم الموارد المالية للدولة، ففي مرحلة تأسيس الدولة -حيث كانت الموارد شحيحة والإمكانات محدودة- كانت أعداد المبتعثين قليلة جدًّا، واستمرت بعد ذلك أعداد المبتعثين في الزيادة سنويًّا بشكل محدود حتى منتصف العقد الأخير من القرن الهجري السابق، وهي الفترة التي تضاعفت فيها أسعار النفط، وزادت مداخيل الدولة، حيث زادت أعداد المبتعثين بصورة كبيرة ومع بدء أسعار النفط في الانخفاض وتوافر التعليم العالي في المملكة في معظم التخصصات بدأت مرحلة ترشيد الابتعاث، الذي اقتصر على مراحل الدراسات العليا، واستمر الوضع نحو عقدين من الزمن حتى حدث

الانتعاش الاقتصادي - لذي تعيشه المملكة في الوقت الحالي- فعاد التوسع في الابتعاث لجميع المراحل في التعليم العالي، وفق أنظمة وشروط محددة، وفي تخصصات معينة يحتاج إليها الوطن، وهذا ما سوف نستعرضه في الفصل الثامن.

المراجع

1. آل الشيخ، عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن (1412هـ). لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر.
2. الأنصاري، عبدالقدوس (ربيع الأول، 1392هـ). قصة نشوء الابتعاث للخارج. المنهل، كما في النشرة التربوية، العدد السادس.
3. أبو راس، عبدالله سعيد، والديب، بدر الدين (1420هـ). الملك عبدالعزيز والتعليم. ط3. الرياض: دار نجول للإعلام.
4. المرجع السابق.
5. جريدة أم القرى، كما في المعجل، عبدالله بن إبراهيم والمعيقل، عبدالله بن سعود (1422هـ) البعثات التعليمية ودورها في خطط التنمية. بحث مقدم إلى ندوة (التعليم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز: تطور وإنجاز). جامعة الملك خالد.
6. الفيصل، الأمير محمد بن عبدالله مدير عام البعثات والعلاقات الثقافية (ربيع الأول، 1392هـ). البعثات العلمية وأثرها في تطوير مجتمعنا المعاصر. النشرة التربوية، العدد السادس، ص18.
7. الجوادي، حسن مصطفى (ربيع الأول، 1392هـ). بعثاتنا عبر التاريخ. النشرة التربوية، العدد السادس، ص23-24.
8. المرجع السابق.
9. خياط، عابدية (1403هـ). دور التعليم العالي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية. جدة: دار البيان العربي.
10. The Institute of International Education. Open Doors 2017: International Students in the United States. Available online at: http://opendoors.iienetwork.org.
11. الداود، عبدالمحسن بن سعد (1416هـ). التعليم العالي في المملكة العربية السعودية (بداياته وتطوره). ط1. الرياض: دار أركان للنشر والتوزيع.